مقدمة الطبعة الثالثة بقلم

صاحب السمو الملكي الأمير غازي بن محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا * وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾ (النساء ١١٤-١١٦).

مُقَدِّمَة

كتاب إجماع المسلمين على احترام مذاهب الدين

(١) ملخص: إجماع تاريخي وفريد من نوعه

بين سنتي ١٤٢٦ و ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٥ و ٢٠٠٦م شهدت الأمة الإسلامية سلسلة أحداث تاريخية مهمة لا مثيل لها على مدى أربعة عشر قرناً، منذ زمن الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، ونتيجة هذه الأحداث أنه بفضل من الله تعالى وبمبادرة من ملك الأردن الهاشمي عبد الله الثاني ابن الحسين أجمع كبار علماء الأمة المعتبَرين وكبار سياسييها على ثلاثة أمور: (١) تعريف من هو المسلم؟ (٢) ومن له الحق في أن يتصدى للإفتاء؟ (٣) وهل يجوز التكفير، وفي ظل أية ظروف؟ ويمثل الإجماع على هذه المحاور الثلاثة (التي غدت تعرف الآن "بالمحاور الثلاثة لرسالة عمان") اعترافاً فريداً

متبادلاً وشاملاً وتاريخياً من المسلمين بعضهم ببعض بأخوتهم في الإسلام بواسطة أصوات أبرز مراجع مسلمي العصر من كل المذاهب والاتجاهات. كما أنه يمثل إجماع الأمة على الشروط المسبقة والمؤهلات والمعايير التي تحدّد من هو مؤهل ليتصدى للإفتاء. لذلك فإن هذا يمثل تحديداً قاطعاً للإسلام الحقيقي في كل مذاهبه وتعريفاً وثيقاً. وبه يتجسد وعد توحيد أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

❁ ❁ ❁

(٢) رسالة عمان

بدأت العملية التي أدت إلى هذا الإجماع بفضل من الله في ليلة ٢٧ رمضان ١٤٢٥هـ/ ٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٤ م في العاصمة الأردنية عمان في مسجد الهاشميين عندما أطلق جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين رسالة عمان. وكانت هذه الرسالة بياناً مفصلاً معلناً عن ما هو الإسلام وما هو ليس بالإسلام، وما هي التصرفات التي تمثله وتلك التي لا تمثله. وكان هدفها أن توضح للعالم الحديث المعنى الحقيقي للإسلام ومعنى الإسلام الحقيقي، لأن مما يؤسف له أن الإسلام اليوم هو الدين الأكثر تعرضاً لسوء الفهم والتشويه، ونتيجة لذلك أصبح الدين الأكثر عرضة للذم على رغم من أنه يمثل أكثر من خمس سكان العالم. ولقد وُجهت هذه الرسالة إلى غير المسلمين في العالم (ولدى الأغلبية منهم فكرة سلبية عن الإسلام) وكذلك وجهت للمسلمين أنفسهم (والشباب على وجه الخصوص لكي لا تختلط في أذهانهم المفاهيم حول دينهم).

(٣) المحاور الثلاثة لرسالة عمان

ولكي يوضح ويبين المعنى الحقيقي للإسلام ومعنى الإسلام الحقيقي، وأهم من ذلك لكي يؤكد الوحدة الأساسية والأرضية المشتركة بين جميع المسلمين من كل المذاهب والمدارس وجه جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين ثلاثة أسئلة لأربعة وعشرين[١] من كبار مجتهدي الأمة وعلمائها ومراجعها المعتبَرين من جميع أرجاء العالم ومن جميع المذاهب والمدارس الفكرية والتوجهات؛ والأسئلة هي: من هو المسلم؟ ومن له الحق في أن يتصدى للإفتاء؟ وهل يجوز التكفير، وفي ظل أية ظروف؟

وبناء على فتاوى هؤلاء العلماء المعتبرين (وكان من ضمنهم شيخ الأزهر – أكثر مرجع سني تقليدي يحظى بالاحترام – وأبرز المراجع الشيعية في النجف وإيران، والمراجع الزيدية في اليمن ومفتي عُمان الإباضي وأكبر المفتين والمجالس العليا للإفتاء لأكبر الدول الإسلامية التي لديها مثل هذه المجالس)، وجه جلالة الملك عبد الله الثاني إلى عقد مؤتمر إسلامي شارك فيه حوالي ٢٠٠ عالم[٢] من ٥٠ دولة في عمان في المدة ٢٧–٢٩ جمادى الأولى ١٤٢٧هـ/ ٤–٦ تموز/ يوليو ٢٠٠٥ م. وأجمع العلماء على البيان التالي ووقّعوا عليه، وهو البيان الذي غدت محاوره الثلاثة الأولى، حول التكفير والمذاهب والفتاوى، تعرف **بمحاور رسالة عمان الثلاثة:**

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وسلّم

﴿يا أيها الناس اتقوا ربّكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدة﴾ [النساء ١]

بيان صادر عن المؤتمر الإسلامي الدولي الذي عقد في عمّان، عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية، تحت عنوان (حقيقة الإسلام ودوره في المجتمع المعاصر)، في المدة ٢٧-٢٩ جمادى الأولى ١٤٢٦هـ/٤-٦ تموز (يوليو) ٢٠٠٥م

وفقاً لما جاء في فتوى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر المكرّم، وفتوى سماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني الأكرم، وفتوى فضيلة مفتي الديار المصرية الأكرم، وفتاوى المراجع الشيعية الأكرمين (الجعفرية والزيدية)، وفتوى فضيلة المفتي العام لسلطنة عُمان الأكرم، وفتوى مجمع الفقه الإسلامي الدولي (منظمة المؤتمر الإسلامي- جدّة، المملكة العربية السعودية)، وفتوى المجلس الأعلى للشؤون الدينية التركية، وفتوى فضيلة مفتي المملكة الأردنية الهاشمية ولجنة الإفتاء الأكرمين فيها، وفتوى فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي الأكرم،

ووفقاً لما جاء في خطاب صاحب الجلالة الهاشمية الملك عبد الله الثاني ابن الحسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية في افتتاح مؤتمرنا،

ووفقاً لعلمنا الخالص لوجه الله الكريم،

ووفقاً لما قدم في مؤتمرنا هذا من بحوث ودراسات وما دار فيه من مناقشات،

فإننا، نحن الموقعين أدناه، نعرب عن توافقنا على ما يرد تالياً، وإقرارنا به:

(١) إنّ كل من يتّبع أحد المذاهب الأربعة من أهل السنّة والجماعة (الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي) والمذهب الجعفري، والمذهب الزيدي، والمذهب الإباضي، والمذهب الظاهري، فهو مسلم، ولا يجوز تكفيره. ويحرم دمه وعرضه وماله. وأيضاً، ووفقاً لما جاء في فتوى فضيلة شيخ الأزهر، لا يجوز تكفير أصحاب العقيدة الأشعريّة،[٢] ومن يمارس التصوّف الحقيقي، وكذلك لا يجوز تكفير أصحاب الفكر السلفي الصحيح.

كما لا يجوز تكفير أيّ فئة أخرى من المسلمين تؤمن بالله سبحانه وتعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم وأركان الإيمان، وتحترم أركان الإسلام، ولا تنكر معلوماً من الدين بالضرورة.

(٢) إنّ ما يجمع بين المذاهب أكثر بكثير ممّا بينها من الاختلاف. فأصحاب المذاهب الثمانية متفقون على المبادئ الأساسيّة للإسلام. فكلّهم يؤمن بالله سبحانه وتعالى، واحداً أحداً، وبأنّ القرآن الكريم كلام الله المنزّل، وبسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام نبياً ورسولاً للبشرية كافّة. وكلهم متفق على أركان الإسلام الخمسة: الشهادتين، والصلاة، والزكاة، وصوم رمضان، وحجّ البيت، وعلى أركان الإيمان: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشرّه. واختلاف العلماء من أتباع المذاهب هو اختلاف في الفروع وليس في الأصول، وهو رحمة. وقديماً قيل: إنّ اختلاف العلماء في الرأي أمرٌ جيّد.

(٣) إنّ الاعتراف بالمذاهب في الإسلام يعني الالتزام بمنهجية معينة في الفتاوى: فلا يجوز لأحد أن يتصدّى للإفتاء دون مؤهّلات شخصية معينة يحددها كل مذهب،

ولا يجوز الإفتاء دون التقيّد بمنهجية المذاهب، ولا يجوز لأحد أن يدّعي الاجتهاد ويستحدث مذهباً جديداً أو يقدّم فتاوى مرفوضة تخرج المسلمين عن قواعد الشريعة وثوابتها وما استقرَّ من مذاهبها.

(٤) إنّ لبّ موضوع رسالة عمّان التي صدرت في ليلة القدر المباركة من عام ١٤٢٥ للهجرة وقُرئت في مسجد الهاشميين، هو الالتزام بالمذاهب ومنهجيتها؛ فالاعتراف بالمذاهب والتأكيد على الحوار والالتقاء بينها هو الذي يضمن الاعتدال والوسطية، والتسامح والرحمة، ومحاورة الآخرين.

(٥) إننا ندعو إلى نبذ الخلاف بين المسلمين وإلى توحيد كلمتهم، ومواقفهم، وإلى التأكيد على احترام بعضهم لبعض، وإلى تعزيز التضامن بين شعوبهم ودولهم، وإلى تقوية روابط الأخوّة التي تجمعهم على التحابّ في الله، وألاّ يتركوا مجالاً للفتنة وللتدخّل بينهم.

فالله سبحانه يقول:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات ١٠).

والحمد لله وحده.

❁ ❁ ❁

(٤) تحقيق إجماع إسلامي ديني وسياسي

بعد شهرين من عقد المؤتمر الإسلامي الدولي في عمان في شهر جمادى الأولى ١٤٢٦هـ/ تموز/ يوليو ٢٠٠٥م أعيد إقرار المحاور الثلاثة الأولى من البيان الختامي للمؤتمر بنصها في منتدى العلماء والمفكرين التحضيري للدورة الاستثنائية الثالثة لمؤتمر القمة الإسلامي الذي عقد في مكة المكرمة في المدة ٥-٧ شعبان ١٤٢٦هـ الموافق ٩-١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٥م.

وبعد شهرين من انعقاد المنتدى أُقرّت المحاور الثلاثة ذاتها من جديد بنصها وبإجماع المشاركين في المؤتمر الدولي الأول حول المذاهب الإسلامية والتحديات المعاصرة الذي عُقد في جامعة آل البيت في المملكة الأردنية الهاشمية في المدة ١٣-١٥ شوال ١٤٢٦هـ الموافق ١٥-١٧ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥م بدعم من جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين.

ثمّ وفي الشهر ذاته، في المدة ٢٠-٢١ شوال ١٤٢٦هـ الموافق ٢٢-٢٣ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥م أقرّ المجلس التنفيذي لمؤتمر وزراء الأوقاف والشؤون الإسلامية في دورته التاسعة في الكويت المحاور الثلاثة لرسالة عمان بمضمونها أثناء اجتماعه.

والأهمّ من ذلك أن العالم الإسلامي بأكمله تبنّى رسالة عمان بشكل عام والمحاور الثلاثة بشكل خاص ممثلاً على مستوى رؤساء الدول أو رؤساء الحكومات أثناء الدورة الاستثنائية الثالثة لقمّة منظمة المؤتمر الإسلاميّ التي عُقدت في مكّة المكرّمة في المدة ٥- ٦ ذي القعدة ١٤٢٦هـ، ٧- ٨ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٥م، والتي أشار بيانُها الختامي إلى هذا الإجماع كما أشار إليه بلاغ مكة الصحفي. كذلك أقرّ

وتبنى **رسالة عمان** بشكل عام والمحاور الثلاثة بشكل خاص التقرير الختامي للأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي وبرنامج العمل العشري للمؤتمر الذي أقرّ بالإجماع تحت عنوان التحديات التي تواجه الأمة في القرن الحادي والعشرين. ويتضمن البند الرابع من البرنامج العشري الذي يتعلق بتعدد المذاهب نقطتين مهمتين هما:

(١) التأكيد على ضرورة تعميق الحوار بين المذاهب الإسلامية، وعلى صحة إسلام أتباعها، وعدم جواز تكفيرهم، وحرمة دمائهم وأعراضهم وأموالهم، ما داموا يؤمنون بالله سبحانه وتعالى وبالرسول صلى الله عليه وسلم وببقية أركان الإيمان، ويحترمون أركان الإسلام، ولا ينكرون معلوماً من الدين بالضرورة.

(٢) التنديد بالجرأة على الفتوى ممن ليس أهلاً لها، مما يعد خروجاً على قواعد الدين وثوابته وما استقر من مذاهب المسلمين، وهذا يوجب التأكيد على ضرورة الالتزام بمنهجية الفتوى كما أقرها العلماء؛ وذلك وفق ما تم إيضاحه في الأمرين في قرارات المؤتمر الإسلامي الدولي الذي عقد في عمان في شهر تموز/ يوليو ٢٠٠٥م وفي توصيات منتدى العلماء والمفكرين التحضيري لهذه القمة والذي عقد بدعوة من خادم الحرمين الشريفين في مكة المكرمة خلال الفترة ٩-١١ | ٩ | ٢٠٠٥م.

وبهذا كان هذا الإجماع إجماعاً سياسياً عالمياً كاملاً للأمة على أعلى مستوى ممكن، فريداً في وضوحه في تاريخ منظمة المؤتمر الإسلامي بل في تاريخ الإسلام.

ومع ذلك، استمر إجماع العلماء المعتبرين على المحاور الثلاثة في رسالة عمّان بالتنامي، وفي المدة ٢٧-٢٩ ربيع الأول، ٢٤-٢٦ نيسان/ إبريل ٢٠٠٦م، عُقد في العاصمة الأردنية عمان، وتحت رعاية جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين، المؤتمر

الدولي الثاني لمنتدى الوسطية للفكر والثقافة وتبنّى المحاور الثلاثة بنصها بالإجماع كجزء من بيانه الختامي.

ومن ٢٨ جمادى الأولى إلى ٢ جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ/ ٢٤-٢٨ حزيران/ يونيو ٢٠٠٦ عقد مجمع الفقه الإسلامي دورته السابعة عشرة في العاصمة الأردنية عمان تحت رعاية جلالة الملك عبد الله الثاني. ولقد تأسس مجمع الفقه الإسلامي، وهو الذراع الفقهي لمنظمة المؤتمر الإسلامي، في سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م. وتتمثل فيه كل الدول الأعضاء في المنظمة كما يضم عدداً من أكبر الفقهاء المستقلين. وهو يعد أعلى هيئة فقهية دولية في العالم الإسلامي أجمع. وأثناء دورته السابعة عشرة، وبالإضافة إلى التعبير عن شكره لجلالة الملك عبد الله الثاني لرعايته للمؤتمر وتبني كلمة جلالته الافتتاحية، أقرّ المجمع ووقّع أعضاؤه على رسالة عمان بأكملها وبمحاورها الثلاثة (حول التكفير[٤] والمذاهب والفتاوى) في الصيغة التالية:

(١) إنّ كل من يتّبع أحد المذاهب الأربعة من أهل السنّة والجماعة (الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي) والمذهب الجعفري، والمذهب الزيدي، والمذهب الإباضي، والمذهب الظاهري، فهو مسلم، ولا يجوز تكفيره. ويحرم دمه وعرضه وماله. وأيضاً، ووفقاً لما جاء في فتوى فضيلة شيخ الأزهر، لا يجوز تكفير أصحاب العقيدة الأشعريّة، ومن يمارس التصوّف الحقيقي. وكذلك لا يجوز تكفير أصحاب الفكر السلفي الصحيح.

كما لا يجوز تكفير أيّ فئة من المسلمين تؤمن بالله سبحانه وتعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم وأركان الإيمان، وأركان الإسلام، ولا تنكر معلوماً من الدين بالضرورة.

(٢) إنّ ما يجمع بين المذاهب أكثر بكثير ممّا بينها من الاختلاف. فأصحاب المذاهب الثمانية متفقون على المبادىء الأساسيّة للإسلام. فكلّهم يؤمن بالله سبحانه وتعالى، واحداً أحداً، وبأنّ القرآن الكريم كلام الله المنزّل المحفوظ من الله سبحانه والمصون عن التحريف، وبسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام نبي للبشرية كافّة. وكلهم متفق على أركان الإسلام الخمسة: الشهادتين، والصلاة، والزكاة، وصوم رمضان، وحجّ البيت، وعلى أركان الإيمان: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشرّه. واختلاف العلماء من أتباع المذاهب هو اختلاف في الفروع و بعض الأصول، وهو رحمة. وقديماً قيل: إنّ اختلاف العلماء في الرأي رحمة.

(٣) إنّ الاعتراف بالمذاهب في الإسلام يعني الالتزام بمنهجية معينة في الفتاوى: فلا يجوز لأحد أن يتصدّى للإفتاء دون مؤهّلات علمية معينة، ولا يجوز الإفتاء دون التقيّد بمنهجية المذاهب، ولا يجوز لأحد أن يدّعي الاجتهاد ويستحدث رأياً جديداً أو يقدّم فتاوى مرفوضة تخرج المسلمين عن قواعد الشريعة وثوابتها وما استقرّ من مذاهبها.

(٤) إنّ لُبّ موضوع رسالة عمّان التي صدرت في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك من عام ١٤٢٥ للهجرة وقُرئت في مسجد الهاشميين، هو الالتزام

بالمذاهب ومنهجيتها؛ فالاعتراف بالمذاهب والتأكيد على الحوار والالتقاء بينها هو الذي يضمن الاعتدال والوسطية، والتسامح والرحمة، ومحاورة الآخرين.

(٥) إننا ندعو إلى نبذ الخلاف بين المسلمين وإلى توحيد كلمتهم، ومواقفهم، وإلى التأكيد على احترام بعضهم لبعض، وإلى تعزيز التضامن بين شعوبهم ودولهم، وإلى تقوية روابط الأخوّة التي تجمعهم على التحابّ في الله، وألاّ يتركوا مجالاً للفتنة وللتدخّل بينهم.

فالله سبحانه يقول:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: ١٠).

والحمد لله وحده.

❁ ❁ ❁

إقرار مجمع الفقه الإسلامي لرسالة عمان ومحاورها الثلاثة (حول التكفير والمذاهب والفتاوى) وإضافة صوته الهام إلى أصوات كبار العلماء الذين كانوا قد وقّعوا على رسالة عمان ومحاورها الثلاثة، قد أكمل إجماعاً دينياً عالمياً. وبه تمّ الإجماع من قبل المجتهدين المعتبرين والعلماء المسلمين البارزين من جميع المذاهب والمدارس الفكرية الإسلامية، ومن قبل جميع المجالس العلمية العالمية القائمة التي تُعنى بتحقيق الإجماع الإسلامي. وهذا، مع الإجماع السياسي الذي ذُكر سابقاً، حقق إجماعاً كاملاً

للمسلمين في زماننا هذا حول رسالة عمان ومحاورها الثلاثة بفضل من الله تعالى وعلى يدي جلالة الملك عبد الله الثاني ملك الأردن.

وبفضل من الله تعالى بدأ هذا الإجماع يثمر فوراً. فعلى سبيل المثال: بعد أسبوع من انعقاد مجمع الفقه الإسلامي، وفي المدة ٥-٦ جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ/ ١-٢ تموز/ يوليو ٢٠٠٦م اجتمع في اسطنبول (تركيا) ولأول مرة مجموعة من الشخصيات الدينية والسياسية من كل جماعة وجالية إسلامية في أوروبا، وهم يمثلون ما بين ١٥-٢٠ مليون من مسلمي أوروبا (بالإضافة إلى شخصيات إسلامية محتارة من العالم الإسلامي)[٥]. ولقد أضافوا أصواتهم إلى الإجماع الإسلامي حول رسالة عمان ومحاورها الثلاثة، واتخذوها كأساس لبيانهم عن وحدتهم وتضامنهم كمسلمين. وكان البيان الختامي للمؤتمر الأول لمسلمي أوروبا يشتمل في بنده الأخير على النص التالي:

أخيراً، نحترم ونوافق على ما جاء في رسالة عمّان الصادرة في تشرين الثاني/ نوفمبر للعام ٢٠٠٤م وما جاء في البيان الختامي الصادر عن المؤتمر الإسلامي العالمي الذي انعقد في عمّان في تموز/ يوليو من العام ٢٠٠٥م وما جاء في فتاوى مختلف العلماء من جميع المذاهب الإسلامية في العالم الإسلامي التي سبقت هذا المؤتمر والتي بُنِيَ المؤتمر عليها، وما جاء في بيان مكة والموجز الختامي لقمة منظمة المؤتمر الإسلامي التي انعقدت في كانون الأول/ ديسمبر لعام ٢٠٠٥م، وما جاء في البيان الختامي لمجمع الفقه الإسلامي الذي انعقد في الأردن في حزيران/ يونيو للعام ٢٠٠٦م، وما قرره المجلس الأوروبي للإفتاء والبحث العلمي في دورته الخامسة عشرة من توصيات لمسلمي أوروبا بحسن التعامل مع مواطنيهم والاندماج الإيجابي، وبيان المسلمين الأوروبيين الصادر عن المجلس

الأعلى للمسلمين في البوسنة والهرسك لعام ٢٠٠٥م، من أجل تحقيق التكامل الاجتماعي وحفظ العدل. ونقّر أنّ تضامن الأمة يأتي على رأس أولويات المسلمين جميعاً في أوروبا وفي كل مكان من العالم، لذا فإننا نتعاون مع المسلمين في العالم في مواجهة من يسعى إلى الإساءة إلى ديننا الحنيف وتشويه رسالته. وندعو إلى التضامن فيما بيننا والتمسّك برسالة الإسلام العالمية من نشر للسلام والإخاء والتسامح، والتناغم الاجتماعي الإنساني.

❁ ❁ ❁

(٥) أهمية الإجماع في الإسلام

(٥-١) الإجماع مصدر للتشريع في الإسلام

إن أهمية الإجماع الإسلامي العالمي في الفقه تُستنبط من وضعه حسب المذاهب الإسلامية المعتبرة مصدراً رئيسياً ملزماً في الفقه الإسلامي بعد القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. و بكلمات أخرى، فإن الذي يجمع عليه المسلمون كأمة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ملزم دينياً لكل المسلمين أمام الله. وذلك لأن الله تعالى يقول في كتابه الكريم:

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء ١١٥).

كذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم:

«إِنَّ اللَّهَ أَجَارَكُمْ مِنْ ثَلاَثِ خِلاَلٍ أَنْ لاَ يَدْعُوَ عَلَيْكُمْ نَبِيُّكُمْ فَتَهْلِكُوا جَمِيعًا وَأَنْ لاَ يَظْهَرَ أَهْلُ الْبَاطِلِ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ وَأَنْ لاَ تَجْتَمِعُوا عَلَى ضَلاَلَةٍ»[٦] .

«إِنَّ اللَّهَ لاَ يَجْمَعُ أُمَّتِي - أَوْ قَالَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم - عَلَى ضَلاَلَةٍ . . . »[٧] .

«إِنَّ أُمَّتِي لَنْ تَجْتَمِعَ عَلَى ضَلاَلَةٍ . . . »[٨] .

«سألت الله عز وجل أن لا يجمع أمتي على ضلالة فأعطانيها . . . »[٩] .

(٥-٢) طبيعة الإجماع في الإسلام

ما هو الإجماع في الإسلام ؟ بشكل عام، يعد الإجماع، والله أعلم، مختلفاً عن الشورى[١٠] التي قد تؤدي أو لا تؤدي إلى إجماع، وهو بالتأكيد يختلف عن الديمقراطية الغربية الحديثة. هو لا يعني حكم الأغلبية أو حتى أغلبية الناس كلهم. فالله يقول في كتابه الكريم:

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ (الأنعام ١١٦) .

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (يوسف ١٠٣) .

ولا يتم الوصول إلى الإجماع باستفتاء عام للشعب حيث تتفق الأغلبية وليس الجميع. فهو بالإجماع الكامل، وإلاّ لم يكن.

ممن يؤخذ الإجماع في الإسلام ؟ بالتأكيد فإن موافقة كل مسلم بالغ عاقل في العالم يشتمل كل إجماع. غير أن القرآن الكريم يذكر على وجه التخصيص فئتين من الناس يجب أن يُحترم رأيهم: الذين يعلمون (أي العلماء) وأولو الأمر. فالله يقول في كتابه الكريم عن أولي الأمر:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ . . . ﴾ (النساء ٥٩).

أما عن الذين يعلمون، يقول الله في كتابه الكريم:

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ (الزُّمر ٩).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (النحل ٤٣).

وفي الآية التالية يميز الله بين أولي الأمر والذين يستنبطون:

﴿وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (النساء ٨٣).

وبالطبع كان هذان الدوران يجتمعان بشكل تام وكامل في شخص سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. غير أنه بعد وفاة الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه انفصل الدوران عن بعضهما البعض بالممارسة، وإن لم ينفصلا نظرياً، حيث أن حكام بني أمية والذين جاؤوا بعدهم لم يستطيعوا أن يدعوا أنهم من الذين يعلمون. واليوم يوجد انفصال واضح بين "السلطة التنفيذية" من جهة و "السلطة القضائية" من جهة أخرى. وفي طبيعة الحال فإنه عندما يتفق أولو الأمر والذين يعلمون بالإجماع على شيء، فهو إجماع، حتى في يومنا هذا. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(٦) أهمية الإجماع حول رسالة عمان ومحاورها الثلاثة

(٦-١) المشكلة الرئيسة التي تواجهها الأمة اليوم

في يومنا هذا، فإن المشكلة الرئيسية التي تواجهها الأمة هي غياب الوحدة والضعف؛ المسلمون ضعفاء وغالباً لا يستطيعون أن يحموا أنفسهم. كما ولا يستطيعون أن ينقذوا أولادهم من الفقر المذل والبؤس، ولا يستطيعون أن ينقذوهم من الخطر والمرض وسوء التغذية والتعليم غير الكافي.

ومما يؤسف له أننا نعيش الآن في الزمن الذي ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قال:

« يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا ». فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ: « بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ». فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهَنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»[١١].

فقد ربط الرسول صلى الله عليه وسلم بين ضعفنا في الدنيا وافتقارنا إلى الوحدة وعجزنا في أن نحمي أنفسنا من جهة، وبين الضعف الروحي، والمادي ونسيان الله والآخرة من جهة أخرى. وبالتأكيد فإن التوفيق والقوة في الدنيا يعتمدان على قوة الإيمان والإخلاص في عبادة الله. ويقول الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (النساء ١٣٤).

كما قال الله تعالى:

﴿ . . . وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم ٤٧) .

ونلاحظ بأن الله تعالى لا يقول بأنه كان حقاً عليه أن ينصر المسلمين، غير أنه يقول سبحانه وتعالى أنه كان حقاً عليه أن ينصر المؤمنين. هكذا والله أعلم يعتمد نصر الله (ومن ثمَّ القوة والتوفيق) على الصدق و الإخلاص في الإيمان. وبالعكس فإن العجز المستمر والضعف والافتقار إلى الوحدة في الدنيا علامة مؤكدة على ضعف إيماننا في ديننا. ولذلك المشكلة الرئيسية التي تحيط بنا هي بالتأكيد الضعف والافتقار إلى الوحدة الناتجين عن ضعف الإيمان.

(٦-٢) معالجة المشكلة الرئيسة التي تواجهها الأمة اليوم

إذا كان ضعف الإيمان يفرقنا وكنا نفتقر إلى الدفاعات وكانت هذه هي المشكلة الرئيسة التي تواجهها الأمة فعندها تكون قوة الإيمان ووحدة الأمة هي الحل لمشكلتها. غير أن لا أحد يستطيع أن يفرض الإخلاص وقوة الإيمان على الأمة. قال الله مخاطباً الرسول نفسه صلى الله عليه وسلم:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (القصص ٥٦) .

وحقاً لا يعين الله الذين لا يحاولون أن يغيّروا ما بأنفسهم:

﴿ . . . إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (الرعد ١١) .

لكن كما تبين هذه الآية، من الممكن أن يجتهد أفراد المسلمين بصورة فردية ليعملوا على أن يزيدوا، بفضل من الله، إخلاصهم وإيمانهم من خلال القيام بالأعمال الصالحة والإحسان والتقوى. قال الله في كتابه الكريم:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ (يونس ٩).

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ (النحل ١٢٨).

كذلك فإن التقوى وممارسة الأعمال تؤدي بإذن الله تعالى إلى نصر الله وإلى حل جميع المشكلات التي يعاني منها المسلمون:

﴿ . . . وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ (الطلاق ٢-٣).

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ (الليل ٥-٧).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ (فصلت ٣٠-٣١).

فالقاعدة الراسخة في هذا المجال: لكي يكسب المسلمون بإذن الله نصر الله، عليهم أن يعينوا أنفسهم من خلال العمل الصالح والتقوى، وأن يكتسبوا المعرفة الحقيقية بالإسلام، وأن يمارسوا الإحسان، ويحاربوا الجهل والضلالة في الدين. يقول الله تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (التوبة ١٢٢).

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأعراف ١٩٩) .

وكما ذكر في المؤتمر الإسلامي الدولي في شهر جمادى الآخرة ١٤٢٦/ تموز/ يوليو ٢٠٠٥ فيجب أن تبذل الجهود المباشرة مع التقوى والإحسان لتوحيد الأمة، ويقول الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الحجرات ١٠) .

وباختصار فإنه ينبغي علينا حتى نستطيع أن نتغلب على المشكلة الرئيسة التي تواجه الأمة أن نبادر بالقيام بالعمل الصالح والإحسان لنتغلّب على ضعفنا الإيماني وأن نزيل الجهل ونوحد ما بين المسلمين ونعمل على إحلال السلام بينهم . وهذا كله تشير إليه الآية الكريمة التالية:

﴿ لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء ١١٤) .

❁ ❁ ❁

(٦-٣) الهدف من رسالة عمان ومحاورها الثلاثة

الهدف من رسالة عمان ومحاورها الثلاثة هو بفضل الله القيام بما ورد أعلاه حلاً للمشكلات الرئيسة للأمة: فرسالة عمان نفسها تهدف إلى تبديد الجهل حول الإسلام، وهي كذلك نداء إلى الإحسان والتقوى والقبول المتبادل والإنصاف . وهدف محاورها الثلاثة (حول التكفير والمذاهب والفتاوى): (١) وقف تكفير المسلمين بعضهم لبعض

بسبب خلافات عقائدية ثانوية (حقيقية أو خيالية) وفي ذلك التكفير حرمانهم بصورة إجرامية من حقوقهم وإباحة قتلهم وخلق الفتنة في الأمة؛ (٢) اعتراف كل المسلمين بعضهم ببعض، ونتيجة لذلك توحيد الأمة وبالتالي تقويتها ؛ و (٣) وقف أو على الأقل تعرية الفتاوى غير الصحيحة على أيدي الجهلاء الذين هم غير مؤهلين لذلك، والتي تضلل الناس بكل أنواع الأفكار الخاطئة والمدمرة والخطيرة التي ينتج عنها أشكال من السلوك والأفعال الخاطئة.

كذلك في حماية منهجيات المذاهب التي تعمل بشكل منتظم في حل التعارض الشكلي (لا الحقيقي) للأدلة في القرآن الكريم والحديث (المصدرين الأساسيين للشريعة) وإستخراج المفاهيم الصحيحة منهما وإن إختلفت هذه المفاهيم. والمحاور الثلاثة من رسالة عمان تعمل على حماية الشريعة كلها وبالتالي كل الحضارة الإسلامية (على الأقل مبدئياً). وبكلمات أخرى لا يعني الاعتراف بالمذاهب وحمايتها حماية المسلمين الذين يتبعونها فحسب، بل أيضاً يعني حفظ التماسك الفكري للفقه وبالتالي ضمان النتائج العملية في صيغة أحكام شرعية. ومثل المنطق السليم المبني على مقدمات منطقية سليمة. فمن المؤكد أن تؤدي المذاهب السليمة المؤسسة على الكتاب الكريم والسنة الشريفة إلى نتائج سليمة. وهكذا فإن المذاهب مثل الأشجار التي تُثمر ثمار الفقه من تربة مباركة من الوحي والإلهام. يقول الله في كتابه الكريم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن

قَرَارٍ * يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (إبراهيم ٢٤-٢٧).

❁ ❁ ❁

(٦-٤) أهمية رسالة عمان ومحاورها الثلاثة

إن أهمية رسالة عمان ومحاورها الثلاثة هي كما يلي: أولاً كما رأينا وناقشنا سابقاً فإنها تشتمل، بمشيئة الله، على علاج عملي وقوي ودقيق لمشاكل الأمة متجذّر في التعاليم الدينية، وثانياً إنه كما ذُكر في البداية كان عليها بفضل من الله إجماع إسلامي ديني وسياسي كامل وتاريخي فريد من نوعه. ولهذا فعسى أن تكون رسالة عمان وسيلة مهمة جداً لتحقيق السلام والصلح والوحدة، ومن ثم التنمية والانزدهار والقوة في العالم الإسلامي. وهي هكذا، كما سيناقش فيما بعد، لأنها تشمل بالطبيعة وبالضرورة على كل ما هو ضروري (من جهة المسلمين على الأقل) للعلاقات الجيدة بين المسلمين وغير المسلمين.

لكن لتتحقق هذه الأشياء يجب نشر الأفكار الأساسية من رسالة عمان وتنفيذها بوضوح لأنه بدون تطبيق وحتى مع إجماع كامل ستبقى رسالة عمان مع محاورها الثلاثة بنية نظرية وأكاديمية: رسالة عمان لا تتضمن محتوى فكرياً جديداً (بدعة) فهي تؤكد وتنشر وتجمع إجماعاً مبنياً على الإسلام التعددي والصحيح والتقليدي، فقط. ولهذا هي لا تغير شيئاً بحد ذاتها: فمهما قالت جماعات إسلامية متنوعة عن جماعات أخرى نظرياً فإنه يسمح لكل مسلم أن يحج حيث يقبل المسلمون بعضهم

بعضاً ودياً (وهكذا يعترفون بعضهم ببعض بالفعل) . ويسمح لكل الدول الإسلامية بل الدول التي فيها أغلبية من المسلمين أن تنضم إلى منظمة المؤتمر الإسلامي وتشارك في منظمات إسلامية أخرى. وصحيح بأن جماعات إسلامية في الدول الإسلامية لا تحترم جماعات أخرى، ولكن من الصحيح أيضاً أنه ليس هناك أي حكومة لدولة إسلامية تنفي رسمياً بأن جماعة من مواطنيها مسلمون (حسب معلومات هذا الكتاب) إذا لم يفعل ذلك أولا هؤلاء المواطنون. وبكلمات أخرى، كان هناك إلى حد ما، اعتراف فعلي وغير منطوق بمبادئ رسالة عمان. لقد أعطت رسالة عمان لهذا الاعتراف غير المنطوق صوتاً وشكلاً ومصداقية. لكن لكي يكون لها تأثير ملحوظ فيجب أن تنفذ هذه المبادئ بوعي وبإصرار في كل مكان.

(٧) تنفيذ رسالة عمان ومحاورها الثلاثة

كيف يتحول اتفاق إلى عمل من حيث المبدأ؟ الجواب هو بمشيئة الله في تطبيقه على كل المستويات الممكنة. هذا، و بالإضافة إلى جمع دعم أكثر للاتفاق على كل مستويات الفعّاليّة الإسلامية، فيجب أن يطبق كما يلي:

(١) التشريع على المستوى الدولي (مثل الأمم المتحدة ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) ومنظمة المؤتمر الإسلامي والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو)) وعلى المستوى الوطني التشريعي في إقرار تعريف الإسلام مثلما ورد في المحاور الثلاثة لرسالة عمان. وعلى حد سواء يستطيع منع التكفير قانونياً على نفس الأساس.

(٢) النشر والوسائل الإعلامية المتعددة في كل أشكالها: كتب وكتيبات ومجلات وأقراص ممغنطة وأقراص فيديو وأشرطة صوتية ولافتات وتلفاز وأقمار اصطناعية وأفلام وإنترنيت وجرائد ومجلات دورية وإذاعة، وما إلى ذلك. وإن شاء الله ستعرض الوثائق الأساسية التي تتعلق برسالة عمان ومحاورها الثلاثة مجاناً على موقع الإنترنيت: www.ammanmessage.com .

(٣) في كتب مدرسية ومناهج تعليمية ومواد تعليمية وإرشادات للمعلمين في كل مدرسة في العالم الإسلامي وفي باقي العالم حيث يدرس الإسلام. وعلى حد سواء فيجب أن تشرح المواد في الجامعات عن الإجماع والموضوع بشكل عام. وفي الواقع ستقدم أول مادة من نوعها في هذا الإطار في جامعة اليرموك في الأردن في شهر شعبان/ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٦م، وفي نشاطات مختلفة وأعمال علمية في كل الجامعات الأردنية.

(٤) الوعظ على مستوى المسجد المحلي. فمن الواجب أن ينتقل هذا الإجماع إلى مستوى الخطيب والمسجد في كل الأماكن الممكنة. ووسائل الإعلان المتعددة الحديثة ليست بديلاً لوسيلة الإعلام الأصيلة في الإسلام التي تجتمع مع العبادة: صلاة الجمعة، والتدريس في المسجد المحلي.

(٥) ربما أهم من هذا كله هو أن يكون الإجماع أساساً لحل المشاكل والصعوبات بين المسلمين في أي وقت وفي أي مكان، إن شاء الله، خاصة لأنه لا يوجد اليوم أي إجماع آخر يشرح نفس الرؤية التعددية للإسلام.

(٨) رسالة عمان والعلاقة بين الأديان

في بداية القرن الحادي والعشرين الميلادي (القرن الخامس عشر الهجري)، فإن من أكبر المخاطر التي تواجه العالم سياسياً وعالمياً هي إمكانية حدوث صراع بين العالم الإسلامي أو بين المسلمين (الذين يمثلون بين خمس وربع الإنسانية) وأكثر باقي العالم من المسيحيين الذين يمثلون ثلث عدد سكان العالم، واليهود. وفي الواقع هناك صراعات كثيرة قائمة حالياً وإن تكن على نطاق مصغر بين المسلمين والمسيحيين واليهود (كما حدث أحياناً عبر التاريخ).

ولا ننوي الآن أن نعلق على أسباب هذا الصراع ولا على مجراه المحتمل. ولا ننوي أن نناقش شكاوى المسلمين ضد غير المسلمين أو العكس. فلنكتف بالقول إن هذا الصراع المبرر عادة من قبل الذين يقصدونه، خاصة من جانب غير المسلمين، على أساس أنه يوجد اصطدام بين قيم الإسلام والأديان الأخرى. لكن رسالة عمان ومحاورها الثلاثة في تأكيدها واعترافها بجلاء بالمذاهب الثمانية في الإسلام تزوّدنا بالضرورة بالأجوبة على سبع قضايا رئيسة تشكل كل ما يستطيع غير المسلم أن يطلبه من المسلمين. وبالتأكيد إنه ليس من شأن الغرب أو غير المسلمين أن يحددوا للمسلمين ما يعتقدونه ولكن في العالم الحديث، حيث يتداخلون وعلى كل المستويات مع غير المسلمين كما لم يحدث في التاريخ من قبل فإنه يحق لغير المسلمين أن يتوقعوا بعض الأشياء من المسلمين، والعكس. وتمثل رسالة عمان باعترافها الجلي بالمذاهب الإسلامية سلسلة كاملة بكل ما يطلب من المسلمين ليتعايشوا بانسجام مع غير المسلمين. والقضايا السبع الرئيسية هي كما يلي:

(١) حقوق الإنسان وحقوق الفرد والحريات والعدالة الاجتماعية.

(٢) حقوق النساء والأطفال والأقليات العرقية.

(٣) إدانة ومنع الإرهاب والعدوان وأعمال العنف الفردية.

(٤) إدانة ومنع الجهاد العدواني وغير الشرعي وغير المبرر والقتل باسم الدين.

(٥) ضمان الاحترام والتسامح للأديان الأخرى وحرية العبادة.

(٦) أن يكون المسلمون مواطنين مخلصين يحترمون القوانين في الدول غير الإسلامية التي لا يُضطهدون أو يضايق عليهم فيها، إذا كانوا في هذه الدول يتمتعون بالعدل أمام القانون وحريتي العبادة والثقافة التامتين.

(٧) أن يقرر المسلمون أنفسهم صيغة الحكم لأنفسهم (من خلال مقاصد الشريعة) ويمكن أن يشمل هذا مبادئ من الديمقراطية الحديثة.

بهذا لا نقول بالطبع إن كل وجهة نظر من خلال كل مذهب ترضي الجميع لكن من خلال كل المذاهب (بالتأكيد السنية والشيعية والإباضية) توجد بشكل عام حلول كافية للمطالب المعقولة في هذه القضايا السبع. لأن المذاهب في الإسلام، بالرغم من أنه يساء فهمها ويلقى عليها اللوم لمنع التغيير والتطور في الإسلام، فإنها في الواقع قوة اعتدال للدين. وهي نظام داخلي لتحقيق التوازن والميزان.

طبعاً لا يقال بأن رسالة عمان تحتوي شيئاً جديداً حول المذاهب في هذه القضايا السبعة، غير أن المذاهب احتوت دائماً على حلول شاملة ومعتدلة لكل هذه القضايا ولكنها لا تُطبق دائماً في الواقع، حيث شوه المسلمون بتطبيقهم الخاطئ صورة الإسلام الناصعة وذلك بسبب الجهل، أو العادات والأعراف المغلوطة أو الحماس الزائد. وهكذا

فإن رسالة عمان في حد ذاتها وبإقرارها للمذاهب والاعتراف بها، تحمل في طياتها العلاج الشافي للتوتر بين الأديان كما تحتوي على الأساس المشترك الذي يجمع بين المسلمين وغير المسلمين.

وأخيراً، من الواضح أن المحور الثالث من رسالة عمان يغلق الباب أمام الفتاوى الخاطئة (والتي عادة ما تكون تمهيداً لأعمال العنف بكل أنواعه بين الأديان) وبهذا فهو مفيد جداً في الحثّ على السلام وحسن التعامل بين المسلمين والآخرين.

(٩) الختام: فرصة تاريخية

ويأتي الإجماع التاريخي حول رسالة عمان ومحاورها الثلاثة في وقت يتصاعد فيه التوتر بين العالم الإسلامي والغرب ويصل لأعلى مستوى له منذ عصر الاستعمار قبل مئة سنة وربما منذ عصر الحروب الصليبية قبل ألف سنة تقريباً. وتتمنى إن شاء الله أن تكون رسالة عمان بمحاورها الثلاثة وسيلة فعالة تساهم في منع الصراع الأكبر الذي لا ضرورة له بين الإسلام والغرب وبالتالي إنقاذ حياة المسلمين وغير المسلمين في كل مكان.

على حد سواء يزودنا الإجماع التاريخي على رسالة عمان ومحاورها الثلاثة بوسيلة فريدة ويعطينا فرصة تاريخية غير مسبوقة لرد الفتنة والصراعات الداخلية بين المسلمين. وتأتي في وقت يزداد فيه التوتر والنزاع، والقتال في بعض الأماكن بين المسلمين على مستوى لم يسبق له مثيل منذ قرون. تتمنى إن شاء الله أن تكون رسالة عمان ومحاورها الثلاثة وسيلة فعالة في المساعدة على إنهاء التحريض الوحشي على الفتنة وفي ذلك ننقذ حياة المسلمين في كل مكان إن شاء الله.

نسأل الله أن يهدي الضالين وأن يرد الفتنة ويبارك على أمة محمد صلى الله عليه وسلم . قال تعالى:

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء ٩٢) .

﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ (المؤمنون ٥٢) .

(١٠) ملخص : ﴿ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ.. ﴾ (النساء ١١٤) .

(١٠-١) ملخص مبادرة رسالة عمان

إن كل ما في رسالة عمان ومحاورها الثلاثة – وأكثر منه بكثير – محتوىً في الآيات المباركة التي ذكرناها في بداية هذه المقدمة:

﴿ لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء ١١٤) .

لا خير في الإصرار على بجهالة على خلافات جزئية بين المسلمين عندما يتفق على المبادئ الأساسية للإسلام: الإيمان بوحدانية الله سبحانه وتعالى، وبالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن الكريم وبالأركان الخمسة للإسلام وأركان الإيمان الستة. على أن يتبع ذلك العمل الصالح: الصدقة والعدالة تجاه الآخرين وصنع السلام بين الناس. ونلاحظ بأن الله تعالى لم يقصر هذا العطاء الخيّر على المسلمين بل قال: بين الناس. وعندما يُعمل ذلك بنية مخلصة لله فسوف يجزي الله تعالى المسلم أجراً عظيماً .

❁

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء ١١٥) .

كما أنه لا خير في معارضة طريق المؤمنين وإجماعهم .

❁

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء ١١٦) .

لكل من أساء لنفسه وللآخرين بمتابعة التفرقة والخلاف وحتى النزاع بين المسلمين: فإذا انتهوا وتابوا فسيجدون الله غفوراً إن شاء الله. فالله تعالى كريم رحيم .

❁ ❁ ❁

(١٠-٢) ملخص هذا الكتاب

إن هذا الكتاب، وقد سمي بالأصل بكتاب احترام المذاهب، هو بالفعل طبعة ثالثة منقحة ومزيدة بصورة ملحوظة. والطبعتان الأولى والثانية (بما في ذلك طبعة ثانية منقحة) نشرتا بأعداد قليلة بالمئات في بداية هذه السنة (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦ م) . وكان الهدف من تلك الطبعات كالهدف من هذه الطبعة توثيق وتسجيل وفهرسة جهود جلالة الملك عبد الله الثاني في إصدار رسالة عمان والإجماع الذي تمكن جلالته، بفضل من الله إقامته عليها وعلى محاورها الثلاثة، والفتاوى التي استندت إليها والتواقيع عليها .

إذاً لا يقرأ هذا الكتاب من البداية إلى النهاية بشكل منتظم مثل معظم الكتب، بل هو مرجع وأساسه نص رسالة عمان ومحاورها الثلاثة والقائمة الكاملة للموقعين على المحاور الثلاثة ، وكلمة جلالة الملك عبد الله الثاني وتمهيد شيخ الأزهر

والفتاوى في البداية وربما هذه المقدمة. وعلى الرغم من حجم النسخة المطبوعة فإن لب الكتاب يقرأ بسهولة خلال ساعة أو ساعتين بالعربية أو الإنكليزية إن شاء الله.

أخيراً نود أن نقول إن كل المستندات في هذا الكتاب وكل التحديثات والإضافات إليها ستعرض للجميع مجاناً وباستمرار على الانترنت على: www.ammanmessage.com إن شاء الله.

والحمد لله وحده.

أ. د. صاحب السمو الملكي الأمير غازي بن محمد بن طلال
المبعوث الشخصي والمستشار الخاص لجلالة الملك عبد الله الثاني
رئيس مجلس أمناء مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي
عمان–الأردن
١٨ شعبان ١٤٢٧هـ/ ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٦م

---

(١) يشمل هذا العدد العلماء مثل الشيخ عبد الله بن بية من موريتانيا والمفتي تقي عثماني من ديوبند، الباكستان، علماً بأن فتواهما لم تصلا في وقت انعقاد المؤتمر الإسلامي الدولي في جمادى الأولى ١٤٢٦هـ/ تموز/ يوليو ٢٠٠٥م ولكنها أضيفتا إلى الوثائق فيما بعد.

[٢] هذا العدد يشمل العلماء الذين لم يحضروا المؤتمر شخصياً ولكن وافقوا كلياً على نتائج المؤتمر وبيانه الختامي وبعثوا تواقيعهم تأكيداً لذلك.

[٣] من المفهوم أن العقيدة الأشعرية تتضمن التقليدين الأشعري والماتريدي في تأكيدهما على مبادئ التوحيد ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم والأركان الخمسة للإسلام وأركان الإيمان الستة.

[٤] إن مجمع الفقه الإسلامي وسّع المحور الثالث من رسالة عمان (حول الفتاوى) بأن ذهب إلى التفصيل في دراساته ومناقشاته حول الشروط المسبقة الموضوعية والذاتية اللازم توافرها لإصدار الفتاوى.

[٥] مثل آخر: بعد اجتماع مجمع الفقه الإسلامي بأسبوعين، وفي ١٦ جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ/ ١٢ تموز/ يوليو ٢٠٠٦م أصدر حزب الإخوان المسلمين في الأردن وهو أكبر حزب إسلامي في البلد وبعد حادث مثير للجدال بياناً تضمن سبعة محاور معبراً عن الإخلاص والولاء للملك والوطن ولمبادئ عامة. وأكد المحوران الخامس والسادس من البيان على التزامهم برسالة عمان ومحاورها الثلاثة وبشرح مجمع الفقه الإسلامي للشروط المسبقة للتصدي للإفتاء.

[٦] أبو داود، السنن، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، حديث رقم ٤٢٥٥.

[٧] الترمذي، السنن، كتاب الفتن، باب لزوم الجماعة، حديث رقم ٢٣٢٠؛ الحاكم النيسابوري، المستدرك، كتاب العلم (دار الفكر، بيروت، ٦ مجلدات، ١٣٩٨/ ١٩٧٨)، ١١٦:١، كتاب العلم.

[٨] ابن ماجه، السنن، كتاب الفتن، باب السواد الأعظم، حديث رقم ٤٠٨٥.

[٩] ابن حنبل، المسند، ٣٩٦:٦، حديث رقم ٢٦٦٨٢ (دار الفكر، بيروت، ٦ مجلدات، ١٣٩٨/ ١٩٧٨). الحاكم النيسابوري، المستدرك (دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨/ ١٩٧٨) ١١٧:١، كتاب العلم.

[١٠] الشورى في الإسلام

نظام الشورى إلزامي حيث يقول الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (الشورى ٣٨) .

ولكن العمل بنتائج تلك الشورى ليس إلزامياً (أو على الأقل ليس للرسول صلى الله عليه وسلم إذ ترك الله تعالى القرار النهائي له . ونلاحظ أن العزم في الآية التالية جاء مفرداً) :

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران ١٥٩) .

والله أعلم . لكن وبالتأكيد يعطي الله مثلاً فعلياً للشورى في القرآن الكريم في قصة ملكة سبأ وملأها :

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ * قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ (النمل ٣٢-٣٣) .

(١١) سنن أبي داود، كتاب الفتن والملاحم، باب في تداعي الأمم على أهل الإسلام، الحديث رقم ٤٢٩٧ .